

قلعة الخوابي

تراث مهدد بالنسيان والإهمال

طرطوس- زينة الشيخ

يرتبط الحديث عن الحصون والقلاع عادة بعمارتها وخصائصها العسكرية، وموقعها الذي يتميز في الغالب بكونه في أماكن مرتفعة ووعرة يصعب الوصول إليها من قبل الأعداء. ولكن في الحديث عن قلعة الخوابي، دعوة لزيارة نتعرف فيها على مزيج معماري قديم، مليء بالسحر والغموض ومأهول بالسكان حتى يومنا الحاضر.



Entrance.

مدخل



Al-Khawabi.



Abandoned house.

بيت متروك

الخوابي

1140م وبعد أن وضع الاسماعيليون يدهم عليها، قام سنان راشد الدين بتجديد بنائها عام 1160م، فقام بإزالة بعض الجدران ليقيم أخرى. وينسب إليه بناء برج المدخل. هاجمها بوهموند الرابع بعد مقتل ابنه في كاتدرائية طرطوس (المتحف حالياً). وضرب من حولها الحصار. فطلب الاسماعيليون مساعدة قوى دمشق وحلب. ثم رفع الحصار الصليبي عن القلعة أمام هذا التحالف الإسلامي.

وتنق مراجع تاريخية عديدة على أن قلعة الخوابي لم تستعمل لأغراض عسكرية أو دفاعية من بعد القرن الثاني عشر الميلادي. وفي الفترة العثمانية، بدأ وجود الاسماعيليين يخف تدريجياً في القلعة، حتى خلت من سكانها الأصليين حوالي الثلاثينيات من القرن الماضي.

لمحة معمارية وأصل التسمية

لقلعة الخوابي باب وحيد من الجهة الجنوبية الغربية، يصعد إليه بدرج مؤلف من حوالي سبعين درجة متباعدة، خلع جزء من قسمها السفلي. تتألف ←



New additions.

إضافات جديدة

أما المناخ السائد في المنطقة المحيطة بها فمتوسطي (معتدل إلى بارد ممطر شتاء وحار جاف صيفاً).

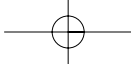
قلعة الخوابي عبر التاريخ

ينسب البناء الأصلي للقلعة -كغالبية القلاع في المنطقة- إلى الفينيقيين. رمها البيزنطيون، ثم استولى عليها الفرجة وسلموها لحاكم محلي حوالي عام

تخرز مدينة طرطوس في الساحل السوري بالعديد من المواقع السياحية والأثرية، وتضم كذلك العديد من القلاع التي يقصدها السياح من شتى أنحاء العالم في الصيف والشتاء، وقد لا تضاهي قلعة الخوابي قلعتي صلاح الدين (صهيون) والمرقب شهرة بالنسبة للسكان أو السياح على حد سواء. ولكنها تمتاز عن العديد من المواقع الأثرية بأنها لا تزال مأهولة بالسكان حتى اليوم، رغم المراحل التاريخية المختلفة التي تعاقبت عليها، وتركت بصماتها الخاصة.

موقع القلعة ومناخ المنطقة المحيطة

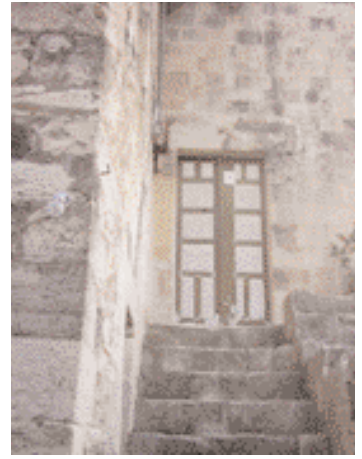
تقع قلعة الخوابي على بعد حوالي 20 كم شمال شرق مدينة طرطوس الساحلية، ضمن طبيعة جبلية ساحرة، شبهها العديد من الباحثين بالسفينة. ويمكن القول بأنها سفينة ترسو في بحر من خضرة أشجار الزيتون. تقوم القلعة على هضبة صخرية تمتد على طول 350 م تقريبا، محاطة من جهاتها الأربعة بالجبال.



Houses and residents.



Inside an abandoned house of the upper part. داخل بيت متروك في القسم العلوي.



سلم إلى بيت مسكون في القسم العلوي. Stairs to an inhabited house in the upper part.



Overall view. بيت وساكنوه.

منظر عام.

مستقبل القلعة

لقد كانت العمارة وما تزال. أكثر جوانب التراث وضوحاً وديمومة، وأكثرها قدرة على التعبير عن مظاهر الحضارات المختلفة التي تنتمي إليها، إضافة إلى أنها، على اختلاف طرزها ووظائفها، مصدر جذب للسياح والباحثين. ولدينا معمار تراثي جميل تستوقفنا بنيته وجمالياته المتعددة، فلنعيد النظر في فهمنا لأهميته، ولنبدل جهداً أكبر، وأكثر وعياً للحفاظ عليه. وقلعة الخوابي مثال على هذا التراث المعماري المهتم للأسف بخطر الإهمال والنسيان، والذي لا يزال بالرغم من قدمه نابضاً بالحياة، حياة سكانه.

إنها دعوة لإلقاء نظرة أعمق على ما نشاهده؛ فلكل حجر قصة، ولكل جدار حكاية، حتى الأنقاض والبيوت المهجورة فمليئة بذكريات من سكنوها. وبظلال من مرور بالقرب منها. تراثنا المعماري يستوجب منا حمايته، ولتكن الخطوة الأولى في هذا الطريق، أن نتعرف إليه بمقدار أكبر. ■

القلعة من قسمين أساسيين: حارة سنان راشد الدين (أو كما يسميها السكان الأصليون "بيوت الأغاوات"). وهي الجزء المرتفع من القلعة، وبالرغم من زوال العديد من معالمها التاريخية بسبب إقامة الأبنية السكنية فيها خلال العقود الأولى من القرن الماضي - والتي لا يزال قسم منها مسكوناً حتى الآن- فإنه بالإمكان ملاحظة الأقبية ومرابط الخيل.

أما القسم الثاني (أو حارة السقي) فهو عبارة عن أنقاض منازل السكان السابقين الذين هجروا منازلهم في القلعة، لبنوا منازل جديدة بالقرب منها، ولا تزال بقايا الأسوار التي تعود للقرن الوسطى واضحة، وحولها بقايا المنازل وبعض المنازل التي لا تزال مسكونة، كما توجد تحتها وبالقرب منها أقبية.

وتسميتها بقلعة الخوابي تعود على الأغلب إلى بناء صغير مجاور لها، كانت تصنع فيه الأواني والجرار (الخوابي) التي استعملت لحفظ الزيت.



داخل برج المدخل. Inside the entrance tower.

